الغفلة و الذكر في رمضان

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

نحمد الله–عزَّ وجلَّ–حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله–سبحانه وتعالى–بمنه وكرمه كما جمعنا في هذا المكان أن يجعل اجتماعنا اجتماعًا مرحومًا ويجعل تفرقنا بعده تفرقًا معصومًا وأن نكون ممن قيل لهم: قوموا مغفورًا لكم اللهم آمين.

إن شاء الله في ساعتنا هذه–وإن شاء الله تكونوا منتبهين جيدًا–سننتقل سريعًا بين نقاط حول مسالة مهمة في استقبال هذا الشهر الكريم وسنتكلم بالتركيز حول نقطة: **الذكر والغفلة في رمضان** ونقصد بهذا الموضوع كما هو متبين الكلام حول بقاء المؤمن ذاكرًا في كل موسم وهذا في أي عبادة، وهذا الكلام من منطلق قول الرسول–صلى الله عليه وسلم–: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)[1] بمعنى أن الرسول–صلى الله عليه وسلم –لم يعلِّق الغفران **على مجرد** الصيام و القيام إنَّما علَّقه على الصيام إيمانًا وعلى الصيام احتسابًا وعلى ذلك ترتبت المغفرة.

- أمَّا (إيمانًا): تذكر لمن أنت تفعل؟ عندما تفعل أنت؟ هذا معنى (إيمانًا) أي مؤمن بالله تريد رضاه تذكر على الدوام لمَن تفعل هذا الفعل الذي تفعله؟
- وأمَّا (احتسابًا): أي ماذا تنتظر من الأجور كلَّما زاد ذكرك لهذان الأمران كلَّما زادت المغفرة للصائم وزادت المغفرة للقائم، لماذا؟ لأن أي أجر **عُلق بوصف على قدر ما فيك من الوصف على قدر ما لك من الأجر**.

بمعنى هل من صام ومن قام يُغفر له، أم من صام وقام إيمانًا واحتسابًا؟ تكون المغفرة والأجر المرتَّب على قدر ما في القلب من إيمان وعلى قدر ما في القلب من إحسان. فماذا نريد؟

نريد أن نبقى ذاكرين لسنا غافلين عن سبب الصيام وسبب القيام وهذا يجعلنا نذكر مجموعة أمور إن شاء الله يبارك لنا الله في هذه الساعة ونناقش هذه المجموعة من الأمور: في البداية الذكر والغفلة كلمتان متضادتان إذا فهمنا أحدهما سنفهم الثانية، في البداية سنفهم معنى الغفلة وإذا تبين لنا معنى الغفلة سيتبين لنا مباشرة معنى الذكر.

(1) رواه البخاري في صحيحه 0كتاب الإيمان، باب: صوم رمضان احتسابا من الإيمان، 38)

مَن هو الغافل؟ الغافل يشبه الساهي، الغفلة: **سهو يعتري الإنسان ينسيه أسباب العمل** أي: يبقى عاملًا يبقى صائمًا لكن يسهو، ينسى ما السبب لصيامه؟ ماذا يريد من صيامه؟ إذًا الغفلة ليس شرطًا لصاحبها أن يترك العمل يمكن أن يبقى صائمًا قائمًا لكن غافلًا. عن أي شي؟ غافل عن مقصده غافلًا عمَّا يريد من وراء هذا العمل؟ غافلًا عن الأجور المرتبة، غافلًا عن الاحتساب، غافلًا عن يوم القيامة، والمحتسب الذاكر سيكون خلاف هذا والمحتسب سيذكر لمَا هو صائم؟ لمن هو قائم؟ ماذا يريد بذلك، يفكر في يوم القيامة يتصور عرصاتها، هذا كله معناه الذكر ولذا سنبقى نذكر مجموعة أمور ما ننساها وبالترتيب نذكرها ونعيدها على أنفسنا دائمًا.

أولًا: الله-سبحانه وتعالى-أمرنا فقال: {فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[1] أي: اذكروا نعم الله عليكم. وهذا يجعلنا نبتدئ بأول نعمة وهي **الإسلام** أي أن الداخل لهذا الشهر الكريم يبتدئ بتذكير نفسه بأن الله ابتدأه المنة من غير طلب منه، فالله-سبحانه وتعالى-هو الذي رزقك بالإسلام من غير أن تطلبه وحبَّب إليك الإيمان وزيَّنه في قلبك وكرَّه إليك الكفر والفسوق العصيان فكونك تدخل إلى هذا الشهر أو تعيش هذه الحياة مسلمًا هذا من أهم المسائل التي يجب على الإنسان أن يبقى ذاكرًا لها ولا ينسى أبدًا أن الله المنان الذي يُعطي المنال قبل السؤال، أعطاه أن يكون مسلمًا وإذا أعطاه الإسلام امتن عليه به فلا بد أن يذكر هذه النعمة فيشكرها وشكرها يكون:

- ببقاء حمده لله على ابتدائه بالمنَّة.
- بالثناء على الله أن خصَّه من الخلق بهذه المنَّة.
- زيادة الجهد في معرفه كمال صفات الله.

إذًا في أول الأمر سنذكر نعمه أن هدانا للإسلام وأن حبَّب إلينا الإيمان وزيَّنه في قلوبنا ولو اجتهد الخلق في أن يفتحوا قلوب أنفسهم أو قلوب غيرهم ويُدخلوا في قلوبهم الاستقامة وقلوب من استطاعوا ولو جمعوا كل قواهم إنما هذه القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبهما كيف يشاء، وأن يكون قلبك قد قلَّبه الله على حب الطاعة فهذا بنفسه أمر تبقى ذاكرًا له وهذا طبعًا سيسبب لك أن تذكر أن كل طاعة قمت بها إنما أتت من جهة التوفيق المحض ولست أنت سببها.

إذًا هذا أول شيء سنذكره والمفترض ألَّا نغفل عنه وأن نبقى نذكره طوال الحياة أن الله المنان ابتدأنا بالنوال قبل السؤال أي لا يوجد أحد منَّا سأله: يا رب اجعلني مسلمًا-أنا أتكلَّم عن ديار المسلمين-إنما ابتدأنا الله بهذه المنَّة، وفكروا في غيرنا عندما يصدق ويبدأ بالبحث عن الحق ويبذل جهده في ذلك حتى يوفَّق إليه، وأنت قد قصَّر الله-عزَّ وجلَّ-عليك المسافات وقرَّب إليك الصلاح، فهذه منَّة عظيمة تستلزم منك زيادة ذكر وزيادة شكر وزيادة ثناء على رب العالمين.

(1) [سورة الأعراف: 69]

النقطة الثانية المستفادة من الآية، قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فالذي يريد الفلاح يبقى دائمًا ذاكرًا لا يغفل عن نعمة الله. في مقابل الذكر، تأتي الغفلة فيشعر الإنسان أن من الطبيعي أن يكون مسلمًا! من الطبيعي أن يكون مؤمنًا! فمن ثم لا يحرص على الإيمان ولا يحرص على زيادة أسباب الإيمان.

نريد أن نقارن بين الذاكر والغافل: ما هو الشيء الذي سيذكره الذاكر ويغفل عنه الغافل؟ منَّة الإسلام، إن الله ابتدأنا بمنة الإسلام. ثم نقارن بين فعل الذاكر وفعل الغافل: الذاكر شاكر. لكن الشكر هذا عمل عظيم واسع نريد أن نعرف بالتفصيل حال الذاكر وحال الغافل في نعمة الإسلام: أمَّا الذاكر لنعمة الله في الإسلام فإنه **يطلب الزيادة في الإيمان** فيأتي كل يوم من حياته يطلب أن يزداد إيمانًا **بمن ربك؟** فيتعلم عن الله من كتاب الله ويتعلم مما يمر عليه في الحياة من هو الله؟ ويتفكر ويتيقَّن ويطلب لنفسه اليقين ويفكر **ما دينك؟** فكل يوم يزيد عليه تزيد فيه معرفته بالدين فيزداد امتثالًا في عمل قلبه وامتثالًا في عمل جوارحه وكل يوم يزيد عليه يعرف **من هو النبي الكريم**.

وهكذا يكون الإنسان قد ذكر نعمة الإيمان فطلب الزيادة، أمَّا الغافل ماذا يفعل؟ يسهو عن نعمة الإيمان ويظن أن بسبب نشأته في ديار المسلمين، وأنه مسلمًا كما في أحكام البطاقات الشخصية فسيخرج من الدنيا إلى جنات النعيم! وهنا يسهون الناس عن فئة داخل ديار المسلمين يعيشون مع المسلمين ويأتون يوم القيامة يُضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب ما يدخل من هذا الباب إلا أهل الإيمان وما ينحبس من وراء الباب إلا **أهل النفاق** ثم إنهم ينادونهم-ينادي المنافقون المؤمنين-: ألم نكن معكم ألم نجلس مجالسكم ونذكر ذكركم ونصلي صلاتكم فيجيب أهل الإيمان: {بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[1] {وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ} هذا هو اللهو (حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ) أي: كنتم مغرورين حتى جاءكم الموت-أي غافلين-(وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) ومن فعل ذلك فيكم؟ هو الشيطان. وهذه الفئة ضرب الله لها مثلًا في مطلع سورة البقرة كما تعلمون جميعًا لما صنَّف الناس قال: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً}[2] النار جاءت بالنور، النور هذا هو الإيمان رأى كل شيء بحقيقته، رأى الدنيا وحقيقتها رأى ماذا سيقبل عليه ظن أنه لمَّا رأى مرة أو مرتين-أو حتى عشرة مرات-ولمَّا أحس بطعم الحقيقة والإيمان ظن أن هذه الصفة ستبقى دائمًا معه فماذا فعل؟ ترك ناره بلا حطب فماذا حصل؟ أطفأ الله نوره. فالمعنى أنه ظن أن هذا الإيمان يبقى دومًا لا ينقطع! والحقيقة أن الساهي والغافل هو الذي يغفل عن إيمانه فلا يفتشه ولا يدري هل هو في زيادة أو نقص ولا يدري ما موارد الإيمان ولا يعرف هل هو ضعيف في إيمانه أو قوي فيه، الإيمان عنده كلمة ليست موجودة على اللسان! ليست موجودة في التفكير ويظن هذا الغافل أنه يشترك المؤمن والمنافق في ظاهر الأمر فيصلي مع المصلين ويصوم مع الصائمين ويفطر مع المفطرين، يؤذن المغرب فيفطر،

(1) [سورة الحديد: 14]
(2) [سورة البقرة: 17]

يصلِّي المصلِّين فيصلي معهم لكن ما هو الفرق بين الاثنين؟ (إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا) هذا الفرق بين الاثنين فهذا من أصل الأمر مشكلته يظن أن اسمه مسلمًا وسيبقى اسمه مسلمًا سواء ضعُف إيمانه أو نقص فالأمر عنده سواء! والناس في الإيمان مراتب كما بين السماء والأرض في الضعف والقوة ثم بعد الضعف الشديد ماذا يحصل؟ **يحصل النفاق** لذا لمَّا وصفهم الله في سورة المنافقين أخبر عنهم فقال: {آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا}[1] كانوا مؤمنين ثم كفروا وفي سورة النساء: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ}[2] فهم ماذا يحصل لهم؟ يزيدون ثم يتركون أنفسهم ساهين إلى أن **يشكُّوا في الدين!** وإلى أن تمر عليهم لحظات الشك فيغمضوا أعينهم عنها ويسايرون المسلمين في أعمالهم ويظنون أنه لا يُعتبر كافرًا إلَّا الذي في ديار الكفر ولا يعرفون أن **الغفلة عن الإيمان سبب لذهابه** وكان مما يدعو به الرسول–صلى الله عليه وسلم–الدعاء بزيادة الإيمان وكلكم تحفظون الحديث واشترط في مغفرة الذنوب في الصيام ومغفرة الذنوب في القيام أن يكون إيمانًا واحتسابًا فلا بد أن يبقى الإيمان موجودًا ويبقى الشعور بنعمة هذا الإيمان موجودًا والطلب للزيادة.

باختصار شديد نقول ما هي الطرق للزيادة؟ لكن قبل أن نقول الطرق لا تنسوا نحن نتكلم عن الذكر والغفلة في رمضان فأنت مقبل على رمضان مطلوب منك أن تبقى ذاكرًا أمور وتحذر أن تغفل عن هذه الأمور: أول شي اذكر منَّة الله عليك بالإيمان، منَّة الله عليك بالإسلام هذه منَّة ابتدائها الله عليك ليس لك فيها حول ولا قوة، الناس غالبًا يقولون: نحن متذكرين لسنا ناسين. نحن نقول: توجد علامة لذاكر هذه المسالة وهذه النعمة وتوجد علامة للغافل عنها:

علامة الذاكر كما اتفقنا **أنه يطلب لنفسه زيادة الإيمان.**

وعلامة الغافل **الساهي يسهو عن طلب زيادة الإيمان.**

بصورة أوضح لا يظن أن الإيمان يحتاج إلى طلب زيادة ليس مطلبًا عنده زيادة الإيمان، شيء لا يفكر فيه يظن أنه منذ أن وُلد وهو مسلم يقول: (أشهد أن لا اله إلا الله) انتهى الأمر والحقيقة أن هذا الإيمان يزيد وينقص هذه الجملة دائمًا نعيدها وهذا **معتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي** ويكون مقترفًا للمعاصي ويظن أن إيمانه لا زال في مكانه! وهذا من أكثر غرر الشيطان ولذلك هناك المنافقون يُقال لهم: {وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ} إذًا سنذكر نعمة الإيمان والذاكر يعرف أن هذه النعمة

(1) [سورة المنافقون: 2]
(2) [سورة النساء: 137]

تحتاج إلى طلب الزيادة والغافل لا يشعر بها ولا يفكر بها ولا يتكلم عنها، يتكلم عن زيادة كل شيء في الدنيا، لكن لا يتكلم عن زيادة الإيمان وهذا أمر أكيد أنتم تلاحظونه أن كلمة (الإيمان) لا تدور بيننا ولا كأنها مطلب رئيس.

باختصار الآن هذه النعمة كيف أطلبها؟ أي كيف أزيد الإيمان، لأن علامة الذاكر كيف يطلب الزيادة؟

نقول كلمات مختصرة: **الزيادة تأتي بالطاعات وتبتدئ بزيادة المعرفة عن الله من كلام الله–سبحانه وتعالى–** ومِن كلام رسوله–صلى الله عليه وسلم–أنتِ تقرئين سورة الفاتحة فتسمعين (الرحمن الرحيم) وتقرئين سورة الإخلاص والمعوذتين وبعد الصلاة تقولين: (اللهم أنت السلام ومنك السلام) ماذا تعرفين عن هذه الكلمات التي تقولينها؟ كم تعيشينها؟ ماذا تفهمين عنها؟ فإذًا أول طرق زيادة الإيمان هي:

* **معرفة الله–سبحانه وتعالى–من كتابه ومن سنة رسوله–صلى الله عليه وسلم–.**

هذه أهم أسباب زيادة الإيمان على الإطلاق الذي يقرأ القران ماذا يكون مقصده؟ يكون مقصده أن يعرف من هو الله؟ كيف يعامل أولياءه؟ كيف يعامل أعداءه؟ كم هو قريب؟ كم هو مجيب؟ تسمعين في سورة القصص والله–سبحانه وتعالى–يخاطب أم موسى فماذا يقول لها؟ {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[1] وفي نفس الصفحة {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[2] فأنت عندما تقرئين تقولين: **أشهد أن وعد الله حق!** ولن يتخلَّف، ما تخلف عن أم موسى ولن يتخلَّف إلى قيام الساعة، وكل ما وعد الله به حق، تقرئين أنه مع الصابرين وأنه يحب المتقين كل الذي تقرئينه من وعود **لا بد أن يقع في قلبك** وتعلمين أنك إذا صبرت كان الله معك وإن اتقيت جعل الله لك من كل ضيق مخرجًا وهكذا فتقرئين لتعلمي **من هو رب العالمين** وكم هو قريب–سبحانه وتعالى–{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[3] فهذه الأخبار التي تأتي **ليست محفوظات تتلى إنما عقائد تجمع في القلب** فهذا أول ذكر الذاكر وهذا سبب لزيادة إيمانه وهذا السبب الآن الحمد لله متيسِّر لنا وبين أيدينا ومطبوع، وها نحن نتعلمه وها نحن نقرأ القرآن وأعرف من هو الله من كلام الله ثم أستعين بالله على ذلك بأن تقرأ من التفسير طبعًا دائمًا هنا عندنا إشكال وإذا بورك لنا في الوقت عن القرآن بكلمة مختصرة ماذا نفعل في رمضان؟ نحن نقول الآن قبل رمضان باقي لنا شهر نسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن يبارك لنا في شهر شعبان المفترض أن تقرأ القرآن وعينك على **معرفة الله** لما يأتي رمضان لا تتشتت لا تبقى تقول أسرع في القراءة أم أتمهَّل؟ أفعل كذا أم أفعل كذا؟ لا، أنت **اشغل كل**

---

(1) [سورة القصص: 7]
(2) [سورة القصص: 13]
(3) [سورة الحديد: 4]

الوقت الممكن بالقرآن وكل مرة تقرأ فيها وردك، تقول لنفسك: ماذا عرفت عن الله؟ هذا هو المطلوب، وليس أن تشغل نفسك: كم مره أختم وكم مره أفعل. **ليس هذا معناه ترك ختم القرآن في رمضان بل هذا معناه زيادة الوقت المخصص لقراءة القرآن دون عجلة لا تهذّه** هذّا فهو ليس شعرًا بل هو كلام الله الذي نزل على رسول الله–صلى الله عليه وسلم–نحن على يقين أن من قرأءه بحق زاد إيمانًا، متى يزيده إيمانًا عندما يزداد معرفةً بالله–عزَّ وجلَّ–من خلال معرفة كلام الله. إذًا هذا هو السبب الأول لزيادة الإيمان وزيادة الإيمان صفة من؟ الذاكر لنعمة الإسلام.

السبب الثاني من أسباب زيادة الإيمان هو:

* **الحرص على العبادات بقلب وليس بضعف.**

أي من الأسباب التي تسبب زيادة الإيمان أن تحرص أن تطيعه وقلبك موجود زد جمعًا لقلبك في الطاعات لا نقول لك: زد الطاعات أو لا. نقول لك: زد جمعًا لقلبك في الطاعات أي وأنت تصلي صلاتك في الفرائض المفترض من يوم ما تتنبه أن تبدأ تجمع قلبك **لأن زيادة جمع القلب على الطاعات سبب لزيادة الإيمان** إذًا ما هو السبب الثاني؟ زيادة الحرص على العبادات بقلب، ابذل أن تعبد الله كما كنت تعبده، تصلي نفس صلاتك وتعبد نفس عباداتك لكن قلبك ما صفته؟ حاضرًا؛ لأن تائه القلب لا قيمة لما يفعل، نحن لا نتكلَّم عن قبول الأعمال أو عدم قبولها وإسقاطها للفريضة، نحن نتكلم عن زيادة الإيمان فالذي يزيد إيمانه سيكون زاد جمعًا لقلبه في أعماله ثم منها يزداد إيمانه.

إذًا الأمر الأول: أن أزداد معرفةً بالله بأن أقرأ القرآن قراءة صحيحة فأعرف الله من خلال ما أقرأ.

الأمر الثاني: أن أزداد جمعًا لقلبي في الطاعات التي أفعلها ثم سيأتي من ورائها زيادة الطاعات سواء كانت صدقة تتصدقها أو صلاة تصليها أو أي باب من أبواب الطاعة.

يأتي الأمر الثالث الذي يسبب زيادة الإيمان وهو:

* الإحسان إلى الخلق من أجل الله وليس من أجل النفس.

وهذا كلام ليس من السهل شرحه في عجالة لكن كثير من الخلق يهمه صورته أمام الخلق وصورته أمام الناس فيُحسن لهذا ويكلم هذا ويعطي هذا فصورته هي التي تهمه **وليس من أجل أن ينظر الله–عزَّ وجلَّ–إليه فيرضى عنه** ولذا إذا أحسن فلم يجد عند الخلق منزلة وشكرًا ماذا يفعل؟ يرجع في كلامه فيندم على ما فعل فمعنى ذلك أن **الذي يُحسن للخلق من أجل أن يرضى الرب–سبحانه وتعالى–يقبل الامتحان في الإحسان إلى الخلق** أنت تقول: أنا

أحسنت لله إذًا ما دُمت أحسنت لله فاصبر سيأتيك اختبار وهو أن الذي أحسنت إليه سيُسيئ لك! لن يشكرك هذا وذاك؛ حتى تعرف نفسك هل أنت صادق أم كاذب.

2. نعمة شهود الشهر:

تعرفون نعمة شهود شهر رمضان الله-عزَّ وجلَّ-في كتابه قال {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}[1] وهذه منَّة عظيمة لا يعرفها إلا من فقد أحدًا قبل دخول الشهر فقده بأن مات أو فقد من جهة الصحة أو من جهة القدرة أو أسوأ من هذا كله **فقده من جهة الإيمان** وهذا لا تستبعدوه أبدًا-كأن يكون سائرًا على الطريق ثم يصيبه من الداء ما يصيبه في قلبه، فيقع في قلبه شك أو يقع في قلبه شيء مما يقع في قلوب الناس من الشيطان فينقلب قلبه على الإيمان فيصبح في حالة أخرى-فنسأل الله-عزَّ وجلَّ-وهو مقلِّب القلوب أن يثبت قلوبنا وذرارينا والمسلمين على دينه اللهم آمين.

إذًا شهود الشهر معناه: **أن يشهد الإنسان الشهر صحيحًا في قلبه صحيحًا في بدنه** وهذه نعمة عظيمة لا تغفل عنها ولا تجلس كلَّما صُمت تقول: أشعر بالجوع، أشعر بالعطش، أو قُمت تقول: أشعر أن قدمي تؤلمني والسهر يتعبني! لا تقول ذلك، هذا لا يقوله إلا من غفل عن نعمة شهود الشهر، **فالذي يشهد الشهر سليمًا في القلب سليمًا في البدن يذكر هذه النعمة** يعرف أن الله ما أعطى الخلق هذه الأبدان إلا لترحل في المواسم فهذا موسم جاءك المفترض أن تفرح ببدنك السليم لأن روحك ستركب هذا البدن وستصل إلى الله-عزَّ وجلَّ-أنت تقطع مسافة سفر إلى الله-عزَّ وجلَّ-لكن في مكانك بصلاتك وصيامك، فعندما يكون بدنك قد سلَّمه الله وحفظه، تلين لك أعضاؤك تستطيع أن تركع وتسجد-بفضل الله-هذه بنفسها نعمة تشكر الله-عزَّ وجلَّ-عليها ويبقى الإنسان ذاكرًا لها ثم عندما يكون قد جمع لك بين صحة القلب-سلامة العقيدة-وأنت طلبت زيادة الإيمان وقد وهب لك زيادة الإيمان، تبدأ تفكر بتلك الليالي العظيمة كيف **ستكون صلاتك في هذا الظلام نور في القبر** وكيف سيشفع لك **هذا الصيام عندما تلقى الله** وكيف ستكون هذه الصدقة أنت في ظلها هذا التفكير هو **الاحتساب** ما يأتي إلا من الإيمان فالذاكر لنعمة شهود الشهر كلما تذكر أنه سلم في بدنه وقلبه وما أصابته آفة في البدن ولا أصابه زيغ في القلب وأنه داخل على رمضان وهو محب مشتاق لهذا الشهر لابد أن يشكر الله-عزَّ وجلَّ-على هذه النعمة.

إذًا نبقى ذاكرين أن الله أن قد مَن علينا بشهود الشهر، فالذي يمد الله في حياته ويكون معه صحة طيبة وقلب سليم ويدخل على الشهر هذا قد مَن عليه منَّة عظيمة وتفهمون هذا عندما تعرفون حديث النبي-صلى الله عليه وسلم-عندما رأى الصحابي رؤيا كما في حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-قال كان رجلان من بلي-حي من قضاعة-أسلما مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فاستشهد أحدهما وأُخِّر الآخر سنة قال طلحة بن عبيد الله:

(1) [سورة البقرة: 185]

فرأيت المؤخَّر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي–صلى الله عليه وسلم– فقال:" أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة"[1]

اثنين دخلا في الإسلام معًا ثم سبق أحدهما الآخر استشهد الأول وبقي الثاني لم يمت شهيدًا مات بعده بسنة فرأى الصحابي الثالث أن الذي مات بعد سنة تقدَّم على الشهيد في الدخول فتعجَّب لأنه يعرف ما معنى الشهادة فعندما أتى للنبي–صلى الله عليه وسلم–ووصف له الأمر فقال له النبي–صلى الله عليه وسلم–: ألم يعش كذا وكذا فصلى كذا وكذا **وصام رمضان**. فالمقصد أن السنة التي بقي فيها بصحة وعافية وصام وصلى فيها جعلته يسبق صاحبه الشهيد. فهذا ما تتعجب منه أبدًا إنما تعرف أن مد العمر بصحة من جهة البدن، وصحة من جهة القلب لا بد أن تبقى ذاكرًا له أن هذا مِن منَّة الله وأن كل يوم سيزيد، سيزيد فرصتك في الطاعة والتوبة ومحو الذنوب وارتفاع الدرجات ويبقى تسبيحك وذكرك لك باقيًا بعدما تموت وهكذا يذكر الإنسان نعمة شهود الشهر.

سنقارن الآن بين مَن أُنعم عليه وذكر هذه النعمة ومَن غفل عن هذه النعمة، أمَّا الذاكر شهود الشهر فإنك تراه يُثني على الله أن مد له في العمر فيدخل على الشهر **وهو صادق في الفرح بنعمة الله**، وأما من غفل عن ذلك فيبقى **يحسب الأيام ويفكر ماذا سيفعل في العيد** وماذا سيكون حاله بعد تلك الدعوة في ذلك اليوم وماذا سيلبس إلى آخر الكلام الذي تسمعه، إذًا ما هو شأن الذاكرين لنعمة شهود الشهر؟

1- الفرح بنعمة الله {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}[2] والفرح ما معناه؟ الفرح يعني أن تشعر أن الله قد مَنَّ، قد أعطى، فينشرح صدرك فتراه قد مَن عليك، فالذاكر لنعمة الشهر يبقى فرحًا بإقبال الشهر يستبشر كما في الحديث الحسن أن النبي–صلى الله عليه وسلم–بشَّر أصحابه بدخول الشهر

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن–النبي صلى الله عليه وسلم–قال: "أتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حُرم" [3]

والذي في غفلة عن هذا لا يفكر في الشهر ولا يخاف على أيامه، إنما يفكر في انقضائه وماذا يفعل بعد ذلك خصوصًا والناس سيكونون في هذا العام في إجازة بعد الشهر فكثير منهم يشغله تخطيطه ماذا سيفعل بعده!

إذًا اتفقنا على منَّة شهود الشهر ونأتي للمنَّة التي بعدها وهي قريبة من الماضية.

---

(1) رواه أحمد بإسناد حسن وقال الألباني (حسن صحيح)

(2) [سورة يونس: 58]

(3) أخرجه النسائي في سننه –كتاب الصيام حديث رقم (2091) وصححه الألباني

3. نعمة القدرة على الصيام

يبقى الإنسان ذاكرًا لها ويذكر فيما يقابلها يذكر المرضى الذين مد الله في حياتهم لكن ضعفت أبدانهم عن القيام بهذه العبادة ففقدوا لذة هذا الشهر أو الصائمين الذين لا يستطيعون في صيامهم حتى أن يحركوا ألسنتهم فإن كثير من الأمراض التي تصيب الناس قد يستطيع المريض أن يحبس نفسه عن الطعام لكنه يفقد قواه تمامًا إلى أن يضع في فمه هذه التمرة كي يستعيد قواه! فيبقى النهار كله ليس له قدرة على أي طاعة! الذاكر لهذه النعمة أن الله مكَّنه أن يبقى نهار رمضان بالنسبة له **موسم بحد ذاته فيغتنمه** في الذكر والشكر والعمل ولا يكون تخطيطه أن النهار للنوم والليل للسهر أو حتى للقيام لأن **نهار رمضان تكون فيه الفريضة فلا تنقلب الموازين عندنا** قيام الليل بالنسبة لشهر رمضان يعتبر نافلة، يعتبر قربة لكن أين الفريضة؟ الصيام. والصيام وقته النهار فمعنى ذلك أن الإنسان سيكون أقرب إلى طاعة الله في النهار، فعندما يمكنك الله بصحة وعافية أن تصوم رمضان لا تغفل عمَّا رزقك في نهار رمضان من قدرة على القيام ولا توسوس لك نفسك بالكسل بل ابقَ ذاكرًا أن الله المنان قد مَنَّ عليك بأن وهبك القوة على أن يكون نهارك طاعة فلا تستسلم لأي أفكار من الكسل ولا تظن **أن قراءة القرآن موسمها الليل** ولا تظن أن الطاعات ترحل إلى الليل إنما:

- وأنت صائم اقرأ القرآن.
- وأنت صائم اذكر الله.
- وأنت صائم افعل ما تستطيع من طاعة الله.

والغافل ماذا سيفعل؟ معلوم حاله، لا نحتاج إلى شرحه! الغافل هذا النائم الذي يرى أن **من معينات الصيام أن ينام! وهو ذا صحة وعافية.**

إذًا نهار رمضان للذكر والشكر مع الصيام ولطاعة الله ولصلاة الضحى ولقراءة القرآن، نهار رمضان للعلم وزيادة الإيمان ونهارنا سيكون طويلًا في الصيف فهو أقرب إلى الأجور وأكثر بركة في الطول، أقرب للأجور لأنه كلَّما زاد وقت صيامك زادت أجورك فتأتي من ورائه البركة من جهة أنك تخطط لنهارك، فالضحى طويل تستطيع أن تصلي وتصلي وبين الظهر والعصر طويل تستطيع أن تقرأ حزبًا وحزبًا وما بين العصر والمغرب طويل تستطيع أن تتقرب مع دخول كل الأعمال التي يريدونها الناس من أعمال البيوت لكن لا تغفل وتجعل النهار إما للنوم في أوله وإما للأكل والشرب في آخره فإذًا القدرة على الصيام نعمة ولا بد أن نلحظ أمورًا:

- ✓ الأمر الأول: **أن النهار بالنسبة للصائم هو قضيته** لا بد في النهار وفي وقت قدرتك على الصيام- مادام وهبك الله صحة وعافية-أن تُظهر لله من نفسك فرحًا بذلك وتمتعًا به وقربة إلى الله فتتقرب وقت صيامك

فتبقى ذاكرًا لنعمة أن هذا البدن قد حُبس عن الطعام، حُبس عن الشراب حتى يحصل للروح **حالة من السمو** هذا لو ذكرت نعمة الصيام، أمَّا لو غفلت عنها فسيصبح نهار رمضان للنوم.

✓ الأمر الثاني: أن الصائم يشعر بنعمة الصيام ويبقى ذاكرًا **أن الله قد حرر روحه من أسر بدنه** لأن البدن الآن يأسرك فله مطالب فيريد أن يأكل ويريد أن يشرب فإذا انتهى يريد أن يدخل الخلاء فإذا انتهى يريد أن يرجع يأكل ويشرب ويشتهي النهار! فكأنه يقال: قد حررك الله من أسر البدن، فالمفترض أن تسمو روحك، عندما تبدأ في السمو بأن تتحرر من الطعام والشراب، فلا تدخل نفسك من جديد في شهوة أخرى **النوم يعتبر شهوة** فكونك تدخلها في شهوة أخرى، معناه أنك لم تصل إلى المقصود إنما المقصود خروجها من شهوة الطعام والشراب وإدخالها في الأعمال الصالحة. ونفسك جاهدها ولا تحسب حسابها، لا تقل: إني جائع، وهذا وقت الغداء ولا تقل: أريد أن أشرب كأس ماء ولا تقل: الآن وقت الشاي! وإلَّا فستبقى طوال النهار لا تفكر إلَّا في الطعام فلا تنحبس هذه الروح وراء مطالب البدن **وهذا من أهم مقاصد الصيام أن تتحرر الروح من حبس البدن** فإن البدن يحبسها ماذا يفعل؟ البدن دابة والروح هي المحمولة فتصور دابة كلَّما سارت قليلًا تقول له: أريد أن آكل، ثم تسير خطوتين فتقول: أريد أن أشرب ثم تسير خطوتين فتقول: أريد أن أتخلَّى! ثم تعيد عليه الكرَّة هيَّا أريد أن آكل، أريد أن أشرب، أبغى، أريد...إلخ فماذا تكون النتيجة؟ لا يستطيع أن يواصل السير خطوتين في طريقه إلى ربه! فعندما يؤمر أمرًا بحبس كل هذه الأمور عن البدن ويبقى البدن–الحمد لله–بصحة وعافية يسير إلى ربه.

فلا نخطئ في حق أنفسنا ونترك حبس البدن عن الطعام والشراب، ونحبسه وراء النوم إنما نستفيد ونذكر أن الله لمَّا أمرنا بالصيام حرر أرواحنا من أبداننا فاطلب لها السمو واذكر أن هذه نعمة من الله أن صومك بصحة وعافية فأكثر من الطاعات. ماذا يحصل للبدن وقتها؟ يتوقَّف عن مطالبه. وماذا يحصل للروح؟ تزداد سموًا. أمَّا الغافل فبين أمرين: بين ماذا يفعل وقت الصيام، فينام! وبين أن يستعد للانتقام من أي شيءٍ من الجوع! فبدلًا من أن تسمو روحه، يُدسِّها، ويبدأ يفكر هذا الغافل ماذا سيأكل ماذا سيفعل بعد المغرب فيقضي النهار مشغولًا بالأفكار ويقضي المساء مرهونًا مرة أخرى في سجن الطعام والشراب! وهذا الغافل لم يسأل نفسه: لماذا أنت صائم؟ فنعمة الصيام تخفف عنك، ترحمك من سجن البدن ومطالبه، فالناس **غيَّروا فقط سياساتهم وأوقاتهم** وإلَّا بقي السجن موجودًا، وأسوأ من السجن القديم فإن القوم عندما يسيِّسون أنفسهم طوال النهار على الاشتهاء، وفي الليل ينتقمون تكون النتيجة؛ أنهم يفقدون طعم الصيام.

كانت هذه نعمة القدرة على الصيام، نأتي لنعمة وجود الإنسان في ديار تقيم الصلاة وتسمع المساجد وأنت قريب إلى الحرم تستطيع في صيامك أن تزره وتأتي بعمرة نأتي لهذه النعمة العظيمة وهي:

3- **نعمة سماع الصلاة ونعمة سهولة الوصول إلى المساجد بل وسهولة الوصول إلى الحرم** هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ثم نأتي لهذه النعمة ونقول: إذا علمت معنى أن يكون المسلم غريبًا في ديار غُربة ويرى الناس لا يصلُّون ولا يسمع آذان، ستدرك قيمة النعمة التي تعيشها، كون أن الله-عزَّ وجلَّ-يُيسرك لك في كل مكان أن تسمع القرآن وترى الناس يخرجون أفواجًا لعباداتهم من صلاة الفجر إلى صلاة التراويح، هذا كله يذكره الذاكر فيقول: قد أنعم الله عليَّ ببلاد فيها ذكر الله فتطيب النفس بسماع أصوات المصلين، تطيب النفس بسماع أصوات القرآن في كل مكان، تطيب النفس بحالهم وهم يخرجون وهم يعودون فيتحقق في هذا **الحب في الله**، يتحقق في هذه النعمة أن ترى هؤلاء الذاهبين إلى المسجد وأنت لا تعرفهم لا تعرف أشكالهم ولا ألوانهم ولا أجناسهم ولا أي شيء لكن يربطك بهم أنهم إلى طاعة الله متَّجهين وعندما ترى الشباب الصغار قد اجتمعوا على الإفطار وتراهم يسارعون في خدمة الصائمين وتراهم يسارعون في الوضوء والصلاة وتراهم يعبدون، كل هذا يشرح صدرك وتحب نصرة الدين واعلم أن المنافقين من أهم علاماتهم: **الضيق بمظاهر الدين، الضيق بمظاهر المتَّقين، بمظاهر المؤمنين**. في المقابل صفة المؤمنين: **الفرح بمظاهر الدين** وحب أهل الدين. والمؤمنين يعلمون أنه لولا منَّة الله العظيمة، لكنا من الغرباء وسيأتي زمان على الناس يقولون: كنا نسمع آباءنا يقولون: (الله الله). أي أنهم حتى لا يذكرون (لا إله إلَّا الله) إنَّما يذكرون (الله الله) أي أن ما تراه من إقبال الناس على المساجد وسماع القرآن وما تراه من عناية بكتاب الله-عزَّ وجلَّ-وما تراه من مظاهر للإيمان هذا كله لا بد أن يحصل في القلب بسببه فرح، وتذكر أن هؤلاء المؤمنين محبوبون عندك لأنهم مؤمنين لا توجد بينك وبينهم أي صلة **إلا الإيمان** أما الغافلين ماذا يحدث لهم؟ الغافل غالبًا في هذا الموقف يفكر فقط في شهوته وهواه! مثلًا يريد أن ينام وقت التروايح والمسجد بجانبه يتلو كتاب الله فيشعر بالإزعاج! أو ينزعج من سيارات المصلِّين التي تقف أمام بيته! فيبغضهم من أجل الدنيا والصحيح أنه كان عليه أن يفرح بهم لأنهم مؤمنين ولا يغفل عن نعمة إقامة الدين، هذه النعمة التي لا يشعر بها-كما تبين لكم-إلَّا الذي يصوم وحده في ديار الغربة ولا يكاد يجد مصلِّي واحد يقف معه من أجل أن يصلِّي التراويح! ولكِ أن تتخيَّلي ما أثر هذا على النفوس، عندما يجد الإنسان أنه المصلِّي الوحيد! ماذا يحصل في نفسه؟ لا بد أن يحصل الكسل. فلا بد أن نذكر نعمة الله بهذه المساجد وهذه الأصوات المباركة وبهذه العناية لأنها من النعم التي تنشط الإنسان على طاعة الله فإذا ذكرنا هذا، نذكر **النعمة الأخص لهذه الديار** وهي القرب للوصول إلى الحرم هذه نعمة عظيمة مهما تكلَّمنا في تفاصيلها لا نستطيع أن نشكر الله-عزَّ وجلَّ-عليها وإنما نقول بكلام مختصر: {جعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ}[1] فإذا بقيت قائمة والناس يعمرونها بالطواف والصلاة، قام الناس كلهم وبقوا موجودين وإذا تركوا تعميرها بالطواف وبالصلاة، فهذا إيذانًا بالزوال، إذًا جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس فيبقى الناس قائمين **وتبقى الدنيا ما بقيت الكعبة، وتزول**

(1) [سورة المائدة: 97]

الدنيا ما هجر الناس الكعبة وهذا يحتاج إلى تفكير طويل كيف أن هذه المشاريع الضخمة العظيمة جمعت ملايين المسلمين فيها حتى تبقى الكعبة قيامًا للناس، وقد لا تستطيع أن تصل إليها لأي سبب لكنك تذكر أن من نعم الله بقاءها قائمة وأن الناس يبقون قائمين ما قامت هذه الديار. والعكس يحصل، يغفل الناس ويقولون: زحام وملل! وعندما يذهبون تجدهم يدافعون الناس وتجدهم لا يشعرون بمنَّة أن الله قرب إليهم الديار فهذا كله عمل الغافلين الذين يخشى عليهم أن يكونوا **قريبين من النفاق** لأن المؤمنين يفرحون بمظاهر الإيمان وخاصة عندما توافق أفعالهم أفعال النبي الكريم فإن قدم الطائف ببيت الله العظيم تقع على مواطن طواف النبي–صلى الله عليه وسلم–! بل وتقع على مواطن طواف الأنبياء جميعًا ويمر هذا الطائف بجوار مقام إبراهيم فيرى أثر قدمه التي بنى بها هذا البيت العتيق فكل هذه مظاهر للإيمان تجعل الإنسان يزداد يقينًا **أنه ليس مقطوع الوصل** بل هو من أولئك القوم باقي مجموع معهم في الخيرات.

على كل حال، هذه المنَّة العظيمة لا يعاملها الناس كما ينبغي، وأما الكلام عن الذي يحدث في الحرم فهذا مما يدمي القلب! إمَّا بسبب ما نراه من أمراض القلب فتجد الناس يذهبون إلى هناك ويظهر كبرهم ويظهر عدم أدبهم أو بسبب ما نراه من عدم العناية بهذه النعمة؛ فيكون الإنسان متمكنًا وعنده وقت مناسب يذهب فيه ولا يذهب، وليس شرطًا أن تذهبي وقت الإفطار أو وقت التراويح أو تذهبي في الأيام الضيقة ولا في الساعات الضيقة، إنما احرصي وادعي الله–عزَّ وجلَّ–أن يرزقك عمرة فإن عمرة في ذاك الزمن كما صح في الحديث وعلى أصح الأقوال أنها **كحجة مع النبي–صلى الله عليه وسلم**–فلا تبخلي على نفسك بذلك، ومَن يتمكَّن فعليه أن **يبقى ذاكرًا أنه فضل الله** ومَن **لا يتمكن، فشوقه يوصله إلى الأجور** فان رب العالمين أعطى الخلق وهو شكور أبوابًا عظيمة منها صدق تمني الطاعات، وهذا باب عظيم أن تصدق في تمنِّي الطاعات فتُكتب لك أجورها والحمد لله رب العالمين، لكن أهم شيء أن نكون صادقين.

الآن تبيَّن لنا أن المؤمن عليه أن يبقى ذاكرًا لنعمة سماع الصلاة ونعمة سهولة الوصول إلى المساجد بل وسهولة الوصول إلى الحرم، ويبقى ذاكرًا أنَّ الله امتن عليه أنه لم يأتِ في فترة قد **هُجر** فيها الدين، بل أُقيم الدين بل وأُقيمت السنَّة بفضل الله وهذا شيء عظيم وكما قال السلف: **لا ندري على أي النعمتين نشكر أن هدانا للإسلام أم سلمنا من الأهواء** فالحمد لله رب العالمين الناس يقيمون السنَّة ويسيرون عليها فأسال الله أن يتفضَّل علينا بثبات هذا الأمر وأن ينشره في ديار المسلمين اللهم آمين، نأتي الآن للأمر الذي بعده وهو:

الغفلة عن الاستعانة في العبادة

بمعنى أن الإنسان يكون قد منَّ الله عليه بالطاعات، مصلي، صائم، عابد، فيظن أن هذا الذي يستطيعه من تلقاء نفسه والصحيح: ألا تغفل فإن الله–عزَّ وجلَّ–يمن على خلقه فيعطيهم النوال قبل السؤال، أي يعطيهم القوة

على الطاعة قبل أن يسألوه، لكن خاصةً عندما تدخل هذا الشهر الكريم، لا تنسى أبدًا أن حولنا وقوتنا تضعف عن استغلال هذه النعمة العظيمة، تخيَّل أن بقدر أنفاسك في هذا الشهر توجد أبواب للأجور وتكون الأجور في هذا الشهر مختلفة عن غيره تكون الأجور مضاعفة؛ إذًا أنت ليلك ونهارك لا بد أن تغتنم الفرصة. فهل هذا بحسب طاقتك وحولك؟ الجواب: لا، ليس في طاقتي وحولي. ما الذي يحصل؟ عادةً ندخل للشهر بحماس، ثم لا يأتي اليوم العاشر، إلَّا وقد انطفأ الحماس! مع أن المفترض أن الإنسان إذا زاد عملًا، إذا زاد طاعة؛ زاد إيمانًا وإذا زاد إيمانًا؛ معناه أنه سيكون اليوم الثاني خير من اليوم الأول، واليوم الثالث خير من الثاني، واليوم العاشر خير من الذي قبله. لكن كونك تصل إلى مرحلة وينقطع سيرك، فهذا معناه أنك غفلت عن (لاحول ولا قوة إلا بالله) غفلت عن عبادة الاستعانة، وهذا من أكثر الأشياء التي يغفل عنها الناس، أي أنهم ينامون جيدًا فيقولون: اليوم القيام تمام! لماذا؟ لأنه نام جيدًا! ليس بصحيح لو لم يعطِك الله الحول والقوة ما أحسنت في قيامك ولغلب نعاسك على يقظتك.

معنى ذلك أن صفة الغافلين أنهم **واثقون في أنفسهم والذاكرون لا ثقة لهم إلَّا برب العالمين** ولذا تجد من أكثر أذكار هؤلاء الذاكرين في رمضان قول: **لا حول ولا قوة إلا بالله** لأنهم يعرفون أنهم غير قادرين على الصيام والقيام وتدبر القرآن كما يرضي الله إلا إذا أعطاهم الله الحول والقوة.

إذًا **الغافل يعتمد على نفسه والذاكر يعتمد على ربه** وهذا الأمر معروف فـ (إياك نعبد) لا تكون إلَّا بـ (إياك نستعين).

من بين الأشياء التي يجب أن نبقى ذاكرين لها ولا نغفل عنها:

- أن الله ينظر إلى قلوبنا وليس إلى صورنا

وهذا تفهمه جيدًا عندما تصلي لله أو تعبد الله لا تفكر أبدًا في مظهرك كما في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"[1].

فإذا بقي هذا القلب تائهًا يفكر في يومه، في طعامه، في شرابه، في نومه، في أمانيه، وهو واقف يصلي وجواله يرن، فتجده طوال الصلاة يفكر من هذا الذي اتصل أو أرسل له رسالة! الى آخر ما تعرفون. مثل هذا **وإن قام بدنه فقد تخلَّف قلبه** والله ينظر إلى قلوب الخلق فالذاكر لا يغفل عن أن يرد قلبه كل حين ولذا من رحمة الله أن العشر الأخيرة هي الأفضل في الصيام. أين الرحمة هنا؟ أن تبقى طوال العشرين يوم أو طوال التسعة عشر يومًا **كلَّما غفل قلبك ترده** ولا تترك نفسك غافلًا عن هذا القلب فإن الله-عزَّ وجلَّ-يفاضل بين الخلق على حسب حال القلب

(1) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، 2564)

فالذاكر يذكر أن قلبه هو المهم والغافل يغفل عن قلبه ومن هنا تأتينا مجموعة نقاط نذكرها سريعًا حول وجود القلب وغفلته:

- غفلة الناس عن قلوبهم في صلاتهم تعني أنهم واقفون بأبدانهم وقلوبهم غير موجودة.
- غفلة الناس عن قلوبهم وقت أذكار الصباح والسماء، وقت أذكار ما بعد الصلاة، وقت الأذكار على وجه العموم لا بد أن تستحضر قلبك، فالذي يُسلم من الصلاة ويقول: (اللهم أنت السلام ومنك السلام) ماذا يفهم عن اسم الله (السلام)؟ من يفهم معنى اسم الله (السلام) سيكون قلبه حاضرًا وقت الأذكار، من يقول بعد الصلاة: (استغفر الله) ثلاثًا عن ماذا يستغفر؟ هل استشعر قلبه نقص صلاته ومن ثم من أجل نقصها يستغفر ثلاثًا؟ وهكذا لاتغفل عن قلبك وقت الصلاة والصيام والذكر.
- لا تغفل عن قلبك وقت الإفطار فإن للعبد فرحتان: فرحة في كونه يطعم-هذه طبيعة الإنسان- وفرحة في كونه أنجز اليوم، وفرحة أن ينتظر أن يجده حين يلقى ربه فهذا كثير التفكير في هذه اللحظة أني سأجدك أيها اليوم، سأجدك في الوقت الذي سأكون في غاية الحاجة لك، فكأن العبد بهذا يأخذ هذا اليوم فيستودعه عند الله، يحتسبه على الله، ينتظر أن يخرجه له الله-عزَّ وجلَّ-عندما يأتي الميزان، ينتظر أن يجده في الصحائف مكتوب مقروء قد صمت في يوم كذا في سنة كذا فلا تغفل في وقت الإفطار عن الوقت الذي سينفعك فيه هذا الصيام. إذًا لا ننسى وقت صيامنا وصلاتنا وذكرنا.
- لا نغفل بين الأذان والإقامة كل صلاة الذي هو من أوقات إجابة الدعاء.
- لا نغفل وقتما نتقلب على فراشنا في الليل أن نطلب منه أن يعيننا على الطاعة ويتمم لنا الشهر.
- لا نغفل عن طلب القبول بعد كل طاعة فإن هذا من أكثر ما يشغل العبد.

نسأل الله-عزَّ وجلَّ-بمنِّه وكرمه أن يجعلنا من المقبولين المذكورين الصائمين القائمين الذين يجدون هذا الصيام في صحائفهم فيثقل بها موازينهم نحن وذرارينا والمسلمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.